(٤٣)

"جبال الصمت"

استخدم نفوذه للهروب من العقاب ولخرق القانون ولبخس ميزان العدالة، واستطاع أن يُنفذ جريمته بمكر ودهاء دون أن ينال جزاءه الذى يستحقه من هو مثله. ورغم سخط البسطاء عليه ومرارتهم تجاهه وتجاه من سهَّل له خرق القانون والسطو على حقوق الآخرين، إلا أنه كان يبدى للجميع فى كل ظهور له أنه دائمًا على حق، وأن من مثله من المتفانين من أجل الفقراء والمُعدَمين لا يمكن أن يكونوا هم أنفسهم الذين تسببوا لهم فى هذا الفقر، أو ساهموا فى وصولهم لما هم عليه الآن من العدم فى كل شيء.

ولم يكن مهمًا لديه أن يصدقه أحد منهم، ولكن المهم عنده كان سكوتهم جميعًا على ماهم فيه ورضاهم عما يحدث لهم دون أى تذمر أو ضجر، واستمرارهم على ذلك الحال من التسليم والخضوع، وأن يظلوا موقنين بأن تلك المظالم التى ألفوها واعتادوا عليها طالما لن تزيد عن هذا الحد الذى وصلت إليه، فيجب أن يكون ذلك هو أقصى طموح لهم وأعظم أمل لديهم، إذا ما رغبوا فى طموح، أو طمعوا فى أمل.

ومع تكرار الجريمة وتكرار خرق القانون وتكرار قهر ميزان العدل، وتكرار الصمت وقبول الظلم والخنوع للجور والطغيان، أصبح للعدل مفهومٌ آخر، وأضحى للظلم مذاقٌ مستساغٌ مع أنه مرٌ، وأمسى كل ما يقاسيه هؤلاء الخانعون المستضعفون من مظالم تتزايد يومًا بعد يوم ليس سوى العدل بعينه الذى استحقوا أن ينالوه جراء خضوعهم للظالم وقبولهم لجوره وطغيانه.